

الفضاء العمومي الجماعاتي وإعادة إنتاج التدبير القبلي للمجال المحلي:

دراسة ميدانية للجمعية الدينية لزاوية أحمد المجدوب

مراح محمد الحنفي¹، د. بن تامي رضا²

1- كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

Mehamed.hanafi@gmail.com

2- كلية العلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

maussboas@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2020/03/17؛ تاريخ القبول: 2020/10/24

Community public space and reproduction of the tribal measure of the local sphere:

A field study for the religious association of Ahmed Al- Majdoub

A. Merah Mohamed El hanafi, B. Bentami Redha

Abstract:

This research paper intends to study and analyze the possibility of talking about the public space, with its rational and civil values as a societal space that has its communicative requirements, transcending the collective and tribal frameworks within the local domain, and by organizing mechanisms of collective action with what it requires of modern and contractual values, to reveal to us the field experience of an association Ahmed Al-Majdoub's zawiya on the reproduction of the tribal arrangement of public and popular reality arrangements for local celebration(waada) by arranging the boundaries of the continuity of traditional tribal imaginations in a public space specific to the cultural heritage inherited to own and possess symbolic sphere.

Keywords :

Community public space, tribal measure, the religious association of the zawiya, Waada of Ahmed Al-Majdoub, the

local sphere.

الملخص:

تروم هذه الورقة البحثية بدراسة وتحليل إمكانية الحديث عن الفضاء العمومي، بقيمه العقلانية والمدنية بوصفه فضاء مجتمعي له مقتضياته التواصلية، المتجاوزة للأطر الجماعية والقبلية في حدود المجال المحلي وبتدبير آليات عمل جمعي بما يستوجب من قيم حديثة وتعاقدية، لتكشف لنا التجربة الحقلية لجمعية زاوية أحمد المجذوب، على إعادة إنتاج التدبير القبلي لترتيبات واقعة عمومية وشعبية للوعدة المحلية (وعدة أحمد المجذوب)، بترتيبها لحدود استمرارية المتخيلات التقليدية القبلية في فضاء عمومي خصوصي للبنية الثقافية، المتوارثة لإملاك وحيازة رمزية المجال.

الكلمات المفتاحية: الفضاء العمومي الجماعاتي؛ التدبير القبلي؛ الجمعية الدينية للزاوية؛ وعدة أحمد المجذوب؛ المجال المحلي.

مقدمة:

ينطلق التفكير في تناول الفضاء العمومي وفق إسقاطاته المحلية، وكميدان بحث لدراسة مسألة ترتيباته الخصوصية في البنية الثقافية، بطرح معاني يحملها المفهوم، أمام تساؤل الواقع المعيش لرمزية المقدس الديني التقليدي لسياقات وقائع عمومية للوعدات، فإذا كان الفضاء العمومي وفق التنظير الهامبرماسي يستند للتبادل العقلاني للتواصل، فإنه يطرح في إدراجه في تقابلية مع العقد المجتمعي التعاقدي في أشكاله التأطيرية الجمعية للمجتمع المحلي، من بروز لفواعل التحديث و العصرية و بين السمات الجماعية، كعلاقة بالتراث المشترك لترانبيات قبلية مرجعية للقطب المؤسس، و كبنية استقطابية لمقدس الأولياء، ليدفع في إعادة التفكير في الوقائع العمومية، ذات المستند و التدفق الرمزي الطقوسي و بروز أشكال للتدبير الحداثي، و إستمرارية المتخيلات التقليدية للثوابت التنظيمية المتوارثة للزاوية، كنسق سلطة قائم على محددات لإعادة إنتاج فضاء عمومي متشكل جماعيا.

وفق هذا المنظور، تسعى الدراسة الأنثوية الى تحليل و تفسير طبيعة تشكل الفضاء العمومي في مجتمع محلي، و تبين نسقية اشتغال جمعية نموذج البحث، على صياغة سياقات واقعة عمومية للوعدة المنظمة على شرف الولي أحمد المجذوب، التي تنظم سنويا في كل منتصف شهر أكتوبر، برعاية و إشراف قبيلة المجاذبة، تحت قيادة رمزية و روحية لجمعية الزاوية، ذلك من منطلق رسم خطاطة إجرائية، حول إمكانية تجلي فضاء عمومي بصيغه الجماعاتية لترانبيات قبلية لدلالات مقدس الزاوية في تفعيل مؤشرات الهوية التقليدية، فالتساؤلات التي يمكن أن تطرح بهذا الصدد هي:

ماهي محددات تدبير وإعادة إنتاج الفضاء العمومي الجماعاتي للمجال المحلي في اشتغال الجمعية الدينية لزاوية أحمد المجذوب؟ وكيف يتم تشكيله وصياغته ضمن أطر المنظومة التقليدية ؟

وماهو دور رمزية المقدس الديني والانتماء القبلي لزاوية أحمد المجذوب في امتلاك وحيازة المجال المحلي؟

2- الفرضية: وهي بمثابة إجابة مؤقتة، حتى يتم التحقق الميداني منها، وكانت كالآتي:

- تتمظهر تجليات تشكيل و تدبير الفضاء العمومي بمحدداته الجماعاتية، في إمتلاك المجال وفق إعادة إنتاج رمزية المقدس الديني، ضمن تراتبية الأصل القبلي المشترك لفاعلي جمعية زاوية احمد المجذوب.

3- أهداف البحث ومنهجيته:

- تهدف الدراسة للوقوف عند أهم الآليات المتحكمة في بنية مجتمع محلي، بماهو عودة للبرادغم المحلي في دراسة التمثلات العينية في الواقع المعيش محليا في خصوصية ازدواجية الطرح الثنائي: تقليد – حداثة وإستحضار مفهوم الفضاء العمومي للوقوف على السياقات المنتهجة لإعادة صياغة وإنتاج التدبير القبلي، في حدود امتلاك المجال المحلي وإضفاء التراتبية بين الأشكال التعاقدية المحكومة بالمبدأ المجتمعي في هيكل جمعي يقتضي فعلا عقلانيا في ترتيب

المجال وبيّن مبدأ جماعاتي يفرض أطرا تقليدانية تخضع لشبكات علائقية وشائجية يفرضها التمرکز حول الأصل المشترك لفاعلي جمعية زاوية أحمد المجذوب.

- إن الغاية المركزية للدراسة الأنية تروم لمحاولة إظهار الميزة الأساسية لمقولة الفضاء العمومي، بما يفرضه من قرائن مفهومية في وضعه محل استقصاء ميداني لبنية مجتمع محلي بخصوصياته السوسيوأنثروبولوجية المؤسسة على عامل الانتماء القبلي المتمظهر في الواقعة العمومية لوعدة الولي أحمد المجذوب، كتمارس ثقافة تبتن مضامين إعادة امتلاك المجال وترتيبه بالأساليب الحديثة والتعاقدية المتمثلة في جمعية نموذج البحث.

4- أجراً مفاهيم الدراسة:

أولاً: الفضاء العمومي الجماعاتي:

يحيل مفهوم الفضاء العمومي سوسيلوجيا، لذلك " المشترك بين المواطنين على أساس تصوره كبناء لعقد اجتماعي في بعده المدني الذي يفرضي إلى تبادل وجهات النظر عقلانياً" (جيلالي المستاري، 2013 ص:159)، فأجرائية مفهوم الفضاء العمومي (الجماعاتي) يقتضي وجود مجال فيزيقي، طبيعي وجغرافي، بحيث يمكن أن يكون مجالاً مبنياً أو مكيفاً وممتلكاً حسب تمثلات ورغبات الإنسان.

أما الفضاء الاجتماعي المعاش من قبل الأفراد، فيميز بورديو p.Bourdieu بين المجال الطبيعي وبين المجال الاجتماعي وعلاقة الفرد بهما وفيهما من خلال قوله: "إن الناس باعتبارهم أجساداً (أي أفراداً بيولوجيين) وكائنات إنسانية مثلهم مثل الأشياء يتواجدون دوماً في مكان ما ويحتلون جزءاً من الفضاء، (...) ومن ثمة فإن مجال الإنسان هو المجال الاجتماعي التي تتجلى فيه بنيته في سياقات شتى في فضاء مأهول (أو ممتلك) يشتغل كتعبير عن رمزية تلقائية للفضاء الاجتماعي، فكل مجتمع تراتبي ينتج بالضرورة تراتباً، يعبر عن الفوارق والمسافات الاجتماعية" (عبد الرحمان مالكي، 2015 ص:53)،

والذي يجعله فضاء حقيقي و رمزي في آن واحد متمثل في جمع من الأفراد المتفاعلين فيما بينهم في مشهد عام تقليدي و شعبي، ووجود مخيال اجتماعي يمثل أساس السيرورة الإبداعية لتشكل وتجلي الفضاء العمومي وأساس بناء العالم المشترك ونمطية المشاركة الجماعية في سياق الوعدة المنظمة على شرف **الولي أحمد المجذوب**، من إبراز لسياقات مجالية لتمثلات اجتماعية بواسطة إشهار الآليات المتعددة سواء التقليدية منها أو الحداثية، والتي تشكل ميدان عمومي تواصل، يطور وينشر من خلاله أفراد الجماعة الاجتماعية ممارسات وخطابات، تسمح لهم بإيصال تفاسيرهم وهوياتهم ومصالحهم واحتياجاتهم ضمن سيرورات التفاعل.

فهي تتخذ من استحضار المقدس الديني للزاوية من لدن الفاعلين الجمعيين (جمعية الزاوية)، بالأنساق الضمنية الحداثية المؤطرة للعقد المجتمعي المدني للجمعية، بوصفها مؤسسة حديثة داخل خصوصيات جماعية للبعد القبلي، والمؤسس على عامل التماهي مع القبيلة التي تفرض إلزاما جماعيا لتدبير المجال.

ثانيا : التراتب و التدبير القبلي:

يشير مفهوم التراتب و التدبير القبلي الى كل مايمت بصلة لإمتداد واستمرارية الولاءات القبلية والعائلية، وإنبعاتها في أشكال ومضامين مستحدثة، بتمثلاتها التجسيدية اللاواعية للقبيلة، "كما يحدد مفهوم الانتماء القبلي لدى ابن خلدون في الاجتماع على أساس العلاقات الدموية، وهو الشرط التأسيسي لقيام الجماعة، وإذا ما توفرت القرابة بين أفراد الجماعة تؤسس للعصبية، وهي الصفة الثانية والضرورية الضامنة لوحدة القبيلة"(محمد نجيب بوطالب، 2002، ص56).

أما جاك بيرك فيرى "أنه بالرغم من أن القبائل لا تشكل كيانات تتكون من أفراد ليسوا من نفس الأصل أحيانا، غير أنها تلتف حول اسم يبدو كرمز هوياتي بامتياز، يمنحها قيمة اجتماعية (Berque, 1974, p:27)، هذه القيمة تتجلى خلف قرابة الأسلاف، بمعنى جماعات الإنزال وجماعة التضامن أو العصبية، بحيث يتعلق الأمر " بمجموعة يشار

إليها غالبا بكلمة **قبيلة** و**تقبيلت** ولأعضاء هذه المجموعة عموما مجال ترابي وفضاء يعتبرونه ملكا جماعيا لهم، ويستغلون موارده بناء على انتمائهم ويتدبرون تملكه باتفاقهم على أصل مشترك، كما يعتبرون أنفسهم متضامنين في الدفاع عن ذلك المجال، ومن ناحية أخرى يمارس هؤلاء نمط عيش مرتبط بفهمهم لإكراهات هذا المجال، وهو نمط يميزهم عن أنماط أخرى، خاصة نمط العيش في المدن وسبله" (عبد الله حمودي، 2017 ص:20).

إن مواجهة الباحث لفضاء اجتماعي متحرك، ذي وجود غير شكلي) فالقبيلة غير معترف بها لا قانونيا ولا مؤسساتيا)، الأمر الذي دفع ممثلي الجمعية الدينية لزاوية أحمد المجذوب اللجوء على الأشكال التعاقدية الرسمية والقانونية للجمعية، ليمنح بذلك أشكالا من التدبير القبلي والاندماج والتفاعل ضمن حقول أخرى، أين وجب البحث في دور السلطة الروحية والرمزية لمقدس الزاوية، في صياغة فضاء عمومي جماعاتي، يعيد إنتاج تصريف ممارسة الواقعة العمومية الشعبية لوعدة الولي أحمد المجذوب.

والتي تتحول وتتكيف بأساليب ممأسسة حدثا بهدف إعلاء الانتماء الهوياتي، فإبراز دور و أهمية ما يعرف "**بالقبيلية**" يكمن في البحث عن كل ما يمت بصلة حول القرائن التحقيقية لامتداد وإعادة إنتاج الولاءات الروحية والجماعاتية النابعة من جبرية التراتيبات القبيلة للأصل المشترك لعرش **المجاذبة** (نسبة للولي أحمد المجذوب) وبما يحوزه الفاعلين في الجمعية نموذج الدراسة، من رساميل هوياتية للسلطة الروحية و الرمزية لمقدس الزاوية، ودوره في صياغة منظومة قيمية ممارساتية، والمساهمة في إعادة إنتاج الفضاء المجتمعي المحلي، تجعل القيم السوسيوثقافية تحوز على تدبير الفضاء العمومي للوعدة المحلية.

ثالثا : التعريف بالولي أحمد المجذوب:

إن أول ما تتمظهر فيه هوية الجمعية عندما تصبح واقعا فعليا في تدبير الفضاء العمومي لممارسة الواقعة العمومية المتجلية في

الوعدة هو" الاسم، فهو ليس مسألة إعتباطية، بل يكشف عن إرادة التملك و التعبير عن الهوية" (فوزي بوخريص، 2013: ص175)، فإن الجمعية محل الدراسة تحيل إلى مرجعية لعقد جماعاتي، بوسائل و آليات عقد مجتمعي رسمي و تنظيمي للمؤسسة التقليدية الدينية "الزاوية" ولتراث الولي "أحمد المجذوب" والذي تملّي الضرورة البحثية إدراج تعريف له.

يعتبر الولي "أحمد المجذوب" الجد المؤسس لقبيلة المجاذبة، والده سليمان بن أبي سماحة، وأمه هي عائشة بنت أحمد بن عبد الجبار الشريف الإدريسي، وتشير المصادر إلى أن ميلاد أحمد المجذوب كان ما بين سنة 1489 و سنة 1493 بقصر الشلالة الظهرانية أو باديتها، تلقى العلم الإسلامي السني الابتدائي منه على يد أبيه ثم واصل طلب العلم عند جده لأمه بفعيغ (المغرب)، كان سنيا أشعريا مالكا مثل أجداده، الذين سيروا منذ بداية القرن 15م مؤسسات دينية في ربو الشلالة الظهرانية، فاعتنوا بحفظ القرآن الكريم، و درسوا الفقه المالكي و الحديث و النحو...

كما تشير معظم المصادر التي تناولت مناقب البوبكرية (عبد الله طواهرية، 2012: ص67)، "بأن التعاليم التصوفية على النظام الشاذلي و التي كان يتلقاها سيدي أحمد بن يوسف لسليمان بن أبي سماحة تركت أثرا بالغا في عقل و روح الولي أحمد المجذوب و الذي لم يكد يتجاوز السادسة عشر سنة 1505". كما يشير مفهوم المجذوب إلى معنى «التصوف الروحاني» في دلالاته الرمزية فهو أسمى أنواع الكفايات في جغرافية المقدس فصاحبها في الوقت ذاته داخل العالم و خارجه، إلى المعنى الذي يتضمن فكرة الانجذاب إلى قوة علوية و الوصول لحال الانتشاء، فالمجذوب صوفيا يتجلى في كونه ينظر أنه «المنور» العازف عن الدنيا وملذاتها بامتياز، و كذلك عن العقلانية الإنسانية فكثيرا ما يتم الخلط بين صورة «المجذوب» وصورة المجنون" (Rachik, 1998 : P107)، لم يخلف الولي أحمد المجذوب فيما نعلم أي أثر مكتوب، قد يلقي الضوء على ظروف حياته ومبلغ وزن شخصيته في المنطقة،+غير ما تناقلته وتوارثته الروايات

عبر الأزمئة، ومنها ما يعرف عن اعتكافه طول حياته برفقة زوجته السيدة أم كلثوم بالكهوف المحايدة لمقام ضريحه خلف واد عسلية+(ميلود بن بوحوص حيتالة، 1994)، أما كراماته الذي ظهرت في عصره فيذكر الباحث عبد العزيز رأس مال بعضا منها، +منها ركوبه الحمار الذي كان في الأصل جني روحاني والهدف منه إخفاء ولايته آنذاك، ورغبة زوجته أم كلثوم في الغنى فأشار لها إلى ركن البيت حيث أصبحت قشور الرمان ذهباً يتوهج لونه+(عبد العزيز رأس مال، 2011:ص217)، كما أنه والى جانب نسب أولاد سيد أحمد المجدوب+ هناك أولاد سيدي الشيخ، و أولاد سيدي التاج وغيرهم ينتمون إلى البوبكرية وهي تسمية تشير إلى مجموعة إثنية متمركزة ذات نفوذ قبلي بالجنوب الغربي للجزائر+(خليفة بن عمارة، 2011:ص07).

والى الآن يخلد ذكره باحتفال موسمي تحييه قبيلته يشهد حضورا كثيفا، فهذه الصورة الصوفية القدسية للولي، أضحت تشكل سلطة رمزية للفضاء و ترتيباته الممارساتية للوعدة المنظمة على شرفه في منطقة الجنوب الغربي الجزائري الأعلى، فهي تكريس لسيادة روحية دينية ما فتئت تستمر جماعيا معززة بذلك تراتبية قبلية لقبيلة المجاذبة بانخراطها في مؤسسة جموعية للإمتداد وإعادة إنتاج أنساق تعاقدية ظاهرة و ضمنية ضمن فضاء عمومي خصوصي و محلي.

5- المقاربة النظرية للموضوع:

يمكن اعتبار الاقتراب النظري أحد المداخل التي تفتح المجال و توضح خطوط الباحث نحو فهم الموضوع و تفسيره بتأويل المتغيرات الكيفية، وعليه فقد قادنا التوقع النظري اتجاه المدخل الابيستمولوجي لنظرية "الممارسة الاجتماعية" للسوسيولوجي بيار بورديو p.bourdieu بشبكة تحليل مفاهيم تستمد عدتها من مفاهيم الهابيتوس «Habitus»، باعتباره مبدأ مولد للإستراتيجيات، التي يتخذها الفاعلون في نموذج البحث من التوافق مع المواقف التي يدبون على إعادة إنتاجها من خلال الرساميل الرمزية و السلطوية لنسق

الاستعدادات الدائمة، النازمة و المنظمة لنسق الاشتغال و القابلة للتحويل بناءا على التغير في المكانة والعمل اللاإرادي في استعادة الخبرات السابقة، لإنجاز مهام متنوعة تخص بناء نظام الممارسات، لتسيير واقعة عمومية شعبية للمقدس الديني للزاوية لتتجسد في فعل الترتيب للوعدة كفضاء عمومي ذو أبعاد جماعاتية "إنتاج و استهلاك و توزيع الأشكال و الموارد الرمزية باعتبارها منتج تاريخي تشكل بالتنشئة الاجتماعية" (أحمد موسى بدوي، 2009: ص50) و للتعبير السوسيولوجية و التمثلات و الممارسات في تدبير الفضاء.

6- المنهج المتبع:

انقيادا وراء المبدأ المنهجي القائل أن الموضوع هو الذي يخلق المنهج الملائم، في مساءلته للواقع الخصوصي الجزئي و معايير الخاصة لتأويل الواقع، والذي على الباحث اختيار المنهج الملائم لدراسته، وعليه فقد استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي، برؤية فهمية تأويلية لسياقات إنتاج المعاني و الدلالات ، بما تطرحه من مفارقات تأسيسية نابعة من المعاش، بخصوص مقدرة نموذج البحث (جمعية زاوية أحمد المجذوب) على تشكيل و صياغة فضاء عمومي بين المقتضيات العقلانية التواصلية و سطوة المتخيلات التقليدية القبلية.

7- التقنيات المستعملة:

لقد قادنا البناء المنهجي و التقني لموضوع البحث لاستخدام تقنية المقابلة، كونها المحادثة التي يستعملها الباحث لإنتاج خطاب، أو تمثلات ومواقف المبحوثين اتجاه نسج علاقات ترابطية لمتغيرات الفرضية، التي خضعت للتفكيك المفاهيمي لقرائن تحققية لأبعاد وتأويلات سوسيولوجية إزاء استكشاف الحوافز العميقة للأفراد، والأسباب المشتركة لضروب السلوك وللتعرف على المعاني التي يمنحونها للأوضاع المعاشة (انجريس مورييس، 2006: ص197)، فالمقابلة غير الموجهة و التي لا تبني بطريقة منتظمة في طرح الأسئلة ،حتى يتسنى للباحث فتح المجال أمام المبحوث لإنتاج خطاب

نابع من الخبرة المعاشة لتمثلات سياقات تدفق دلالات الواقعة العمومية للوعة، إضافة إلى الاعتماد على تقنية الملاحظة بالمشاركة لرصد الملاحظات الميدانية.

8- مجتمع البحث:

تعتبر الجمعية الدينية لزاوية أحمد المجذوب، نموذجا بحثيا للنقص حول سؤال البحث بفرضيته، فهي جمعية ذات طابع ثقافي تعنى بالتراث الروحي والديني للزاوية، والتي من بين مهامها الرئيسية الإشراف وتنظيم الوعدة المحلية بمنطقة عسلة التابعة إداريا لولاية النعامة أحد ولايات الجنوب الغربي الجزائري الأعلى، فمنذ تأسيس **جمعية المدرسة** سنة 1992 ثم تحويلها إلى جمعية زاوية أحمد المجذوب سنة 1998، أضحت قبيلة المجاذبة أكثر حضورا على مستوى الفضاء العمومي بتراتبية نسب وسمعة خارجية، أين نجدها تأسست وفق أحكام قانون الجمعيات رقم: 31/90 المؤرخ في: 04-12-1990، لتصبح فيما بعد تنظيم تشريع قانون الجمعيات رقم: 06-12-2012 المؤرخ في: 12-01-2012، بحيث تظم تشكيلة المكتب التنفيذي (11) عضوا بترانبياتهم التنظيمية كما يوضحه الجدول أدناه:

جدول رقم 01: المعايير السوسولوجية لأعضاء المكتب التنفيذي						
المستويات	التكرار	النسبة	المستويات	التكرار	النسبة	المستويات
السن	(50-60)	04	%36.36	تعليم ديني	07	%63.63
	(61-70)	03	%27.27	ابتدائي	03	%27.27
	(71-80)	04	%36.36	جامعي	01	%09.09
	المجموع	11	%100	المجموع	11	%100
أقدمية الانخراط في جمعية الراوية	(05-10)	03	%27.27	متقاعد	03	%27.27
	(11-15)	05	%45.45	موايل	04	%36.36
	(16-20)	03	%27.27	أعمال حرة	04	%36.36
	المجموع	11	%100	المجموع	11	%100

9- التعليق السوسولوجي على العينة:

تبين لنا القراءة التحليلية للجدول المرفق حول متغير السن، أن ما نسبته 36،36% من الفئة العمرية ما بين (71-80)، وهي فئة كبيرة في السن والتي تحيل إلى حقيقة التماهي مع كبار الجماعة، في ترتيب الأدوار والمهام وكفئة مرجعية في اتخاذ القرارات بمكانة الوجهة في العمل الجمعي، نتيجة امتلاك الرساميل الرمزية و الدينية في تدبير الفضاء، والتي يعاد إنتاجها في الإستراتيجيات المتدرجة هرميا وتنظيما، ليتم تأسيسها داخل المجال، حفاظا على قيمة الوجهة والقيادة وتصريف السلطة والنفوذ الرمزي، بما في ذلك تنظيم وتأطير أطوار وعدة أحمد المجذوب. ويتجلى المتغير التعليمي لأعضاء الجمعية الدينية للزاوية، بطبيعة التعليم الديني التقليدي للمؤسسة التقليدية، بما يمثل نسبة 63،63%، مما يحيل إلى استمرار هذا النمط في تثبيت الهوية الجماعية لخصائص التراث الصوفي الديني.

ففي سياق ملاحظتنا التحقيقية المستقاة من أطوار الوعدة، فقد عايشنا ما يعرف بالسلكة القرآنية، أو «الختمة» في اللهجة المحلية،

أين يتجلى الطقس الديني لتلاوة القرآن الكريم، في اجتماع «الطلبة» وحافظي القرآن أين يظهر مشاركة أعضاء الجمعية في تنظيمها و استقبال وفود الطلبة، مع فاصل زمني يبدأ من صلاة العصر إلى طلوع الفجر، ليظهر العامل الديني و اشتغاله لتأكيد الهوية الدينية لمؤسسة زاوية أحمد المجذوب في تدبير الفضاء العمومي.

10- التأويل السوسيولوجي للمقابلات:

إن الاستنطاق الكامن وراء تحليل وتأويل المعطيات المجمعة من الميدان، وفق أطوار ترتيبات ممارسات الوعدة المنظمة من لدن فاعلي الجمعية الدينية للزاوية، يروم إلى كشف مدلولات و تمثلات الخطاب، في إدراجها تحت ترسيم خطاطة إجرائية بين كل من المحددات الجماعاتية و المجتمعية:

أولا: تجليات الفضاء العمومي الجماعاتي: من الرمزية التاريخية إلى راهنية التدبير الجمعي:

تتخذ وعدة الولي سيدي أحمد المجذوب سطوتها المخيالية الرمزية من الإرث التاريخي في سمعة وصيت الولي و تراثية التصوف بالمنطقة، فهي احتفالية تعكس تجليات الفضاء العمومي الجماعاتي، فالأمر يتعلق +بلحظات مركزية من الحياة الاجتماعية تبرز خلالها المظاهر الدينية الاقتصادية، الاجتماعية، النفسية والجمالية لهذا مجتمع+ (Reysoo، 2010: p210)، ومنه فإن تثمين الفضاء العمومي بزمانية أخرى رمزية أين تسحب من الزمانية الاعتيادية اتجاه اللازمي، ليخرج الفضاء العمومي بحمولاته الدلالية عن المألوف والمعاش ليؤله لإنتاج المعاني المفعمة بالتمايز ضمن المقدس الديني.

إن تنظيم الوعدة من لدن الجمعية الدينية للزاوية "على شرف الأجداد المؤسسين المعترف لهم بالقداسة الصوفية، تسمى في الجزائر (وعدات) مفرد (وعدة)، إلا أن تسمية وعدة هي الأكثر شيوعا بالقطاع الوهراني والقطاع الدزيري" (E.Dermenghem، 1982، p:126)، فهذا التجذر التاريخي المتواصل، يساهم في الحفاظ على

نسقية العلاقات الداخلية لقبيلة الولي، وفي مابين القبائل، فهي لحظة تذكر وذكرى جماعية، يتم من خلالها بسط فضاء عمومي شعبي بزيارة أماكن تقيض قداسة لاسترجاع الذاكرة الجماعية، أين ينظر لتدبير وقبلنة الفضاء من منطلق الإسهامات الذاتية حيث الممارسات الفعلية والطقوسية والتواصلات الخطابية، لمجال ترتب احتفالية الوعدة أين نجدها مشحونة بالانتماءات القبلية ذات اللحظات التأسيسية التاريخية.

تنقل لنا وثيقة يعود تاريخها احتمالا إلى بداية القرن العشرين مجريات وعدة الولي أحمد المجذوب كمايلي:

"إنها وعدة قبيلة أولاد سيدي أحمد المجذوب، احتفال يحدث كل سنة في أول جمعة من شهر أكتوبر وفق الرزنامة الفلاحية العربية، في هذا اليوم تتجمع كل القبيلة، نشاهد ما يربو عن 400 خيمة للمجازبة وبعض الخيم لبني عقبة قدموا من المشرية، قد تجمعوا على مساحة مقدارها 05 هكتارات وانقسموا الى فروع، في الصباح تجمع الفانتازيا كل الفرسان والغرباء عن القبيلة، وفي منتصف النهار يقدم المجازبة طعام الكسكسي بمشاركة بني عقبة وعسلاوة، بعض الظهر يقومون ببعض العاب الفانتازيا وفي حدود الساعة الخامسة يشرعون في تلاوة المعروف، وقبله يقوم طالب مجذوبي بقراءة آيات من القرآن ويشرع في الدعاء وبعد الإفراغ من الأدعية تجمع الزيارة من لدن القائم على الزاوية، وبهذا تنتهي مراسم الوعدة، (Archives de ، p 249، 1949) wilaya de Naàma).

يشير نص هذه الوثيقة، أن طقوس ومجريات الوعدة تعود إلى قرن من الزمن على الأقل، والملاحظ هناك تعديل مس تنظيمها وترتيبها، فلم تعد فعاليتها تجري في يوم واحد بل على مدار أربعة أيام.

بما يمكن نعتة بالجغرافيا المقدسة باستحواذ و نفوذ المجال المحلي القبلي لاحتفالية الوعدة، التي تندرج ضمن تراث مزدوج: ديني صوفي مرتبط أساسا بالولي، واجتماعي ثقافي متصل بالهوية القبلية

بالرغم من التحولات تبعا للمجريات الزمنية و الايكولوجية ، إلا أنها لها من الثوابت التي تعمل على إعادة إنتاجها واستمرارها كالرقعة الجغرافية و الخصوصيات الثقافية والشعائر المشتركة، ليظهر بذلك مركزية السياسي الداعم للزاوية برمزياتها التاريخية المتقاطعة مع إستثمارية الإسلام الشعبي و تصريف مكانة رمزية القبيلة، بوصفها تمتلك القدرة الإستقطابية و الكرزمانية على تأطير فضاء عمومي بألياته الجماعاتية المستحضرة للفعل الثقافي الصوفي الموجه تاريخيا.

إن تأكيد حضور الذات الجماعاتية المستلهمة من مرجعية الانتماء الجينالوجي للولي، ومن إصرار أفراد و فاعلي الجمعية الدينية في تدبير وترتيب الفضاء الموزع بالكثافة والتنوع والأصول الجغرافية لتختلف معه تعددية المآرب والاستثمارات الفئوية والمجالية "من إعادة تشكيل للمفكك الاجتماعي و الثقافي، و تجديدا للحمة القرابية كاستمرار لفواعل القبلية التي لم تنتهي و كشكل من التنظيم الرقابي الضبطي" (بوشمة الهادي، 2008: ص86).

فبالرغم من أن راهنية القبيلة لم تعد تشكل تلك الجماعة الدائمة التماسك والتعبئة الجماعية نتيجة جملة التحولات السوسيوبنائية، والتغيرات الحداثية المتسارعة، من مؤشرات عصرنة وتحديث المجتمع المحلي إلا أن الوقوف عند محدد الانتماء للأصل المشترك (الجد المشترك) أو الانتماء الموروث عن العائلة، نجد اعتراف أعضاء الجمعية الدينية للزاوية بانتماء آخر، وهو الانتماء الوطني والوظائفي في محده السياسي، يصرح رئيس الجمعية: "...نحن في جمعيتنا نشغل باسم المنطقة، وزاوية سيدي أحمد المجذوب هي ممثل لكافة الأعراش... أما في الأمور السياسية، فلا نتدخل فيها بصفتنا ممثلين لجمعية دينية تابعة لمكتب التنظيم و الشؤون العامة بالولاية..." (المقابلة رقم: 1، 18/10/2018)، فالتدبير القبلي للأصل المشترك في فضاء عمومي جماعاتي، هو مجال مدمج في فضاءات أخرى ذات أطر تعاقدية في شكلها البيروقراطي، وبين الفضاء الجماعاتي المدمج هو الآخر في فضاءات أخرى اجتماعية و دينية و سياسية، "فالجماعة القائمة على رابطة الدم، هي مصدر كل أنواع

الجماعات التقليدية، يتم التحيين لصالح مبدأ آخر إبان الحادثة، هو المبدأ المجتمعي" (فوزي بوخريص، 2013: ص44).

فثنائية المجتمعي والجماعاتي، يتراءى في تحليل النظام القبلي للقيم، الذي يفرض إلى نظام اجتماعي يتقاسمه المجال القبلي، والذي يفسر بدوره ترسيمات فضاء عمومي شعبي، مرتبط بالنسب والأصول والقرابة وأخرى تدعمها كالشرف، المقدس و الحكم و الولاء، كأشكال للتواصل لتسيير الواقعة العمومية للوعدة، نجد ومن منطلق الأصول المرباطية للمشاركة لفاعلي الجمعية الدينية للزاوية، أن القيم المتصلة بالنسب والأصل، لا زالت تكتسي أهمية في الراهن لوحدة الجماعة المؤسسة لعصبيتها المتضمنة في التمثلات حول معرفة النسب، وأنساب القبيلة والإمام كذلك بتراث تاريخي يستحضر لترتيب الحاضر.

إن تدبير الشأن القبلي المحلي لفاعلي الجمعية الدينية للزاوية، ينطوي على السهر على التنظيم الفعال للوعدة، برسمه لفضاء عمومي جماعاتي متعدد الأدوار، فمتغير الانتماء القبلي لتشكيلة المكتب التنفيذي للجمعية، يوحى بتمثيل قبلي في مجمله بإشراك ممثلي عن أهل قصر عسلة والأشراف، مما يترجم إرادة القبيلة في بنيتها التعاقدية في ضم كل ممثلي ساكنة بلدية عسلة مكان تواجد الزاوية تحت راية الولي أحمد المجذوب، مما يحيل إلى إعطاء صورة أكثر إقليمية وروح عمومية، فالترسيم المأسس لممثلي قبيلة المجاذبة أضحى من خلاله ينظر إليهم ممثلين رسميين للقبيلة من منطلق عضويتهم في المكتب التنفيذي لجمعية الزاوية، يصرح نائب رئيس الجمعية الدينية "...نحن كممثلين للأصل المشترك للولي الصالح سيدي أحمد المجذوب لدينا عشرة أصول (كوارط)... بما فيهم أولاد عيسى المدمجين مع أولاد الشيخ و بما فيهم الشرفة وأهل عسلة فكل منهما عضوية واحدة، ونحن في جمعيتنا رتبنا العضوية بما يتطلبه تمثيل المنطقة"، (المقابلة رقم02، 2018/10/19)، فموجبات التدبير القبلي، يخضع لمحدد البعد السياسي في إعادة إنتاج ترتيب سلطوي، في إتخاذ القرارات بفواعل ضمنية، مرتبطة بأهمية النسب و

رفعته التي لازالت تلقى بظلالها على المخيال الاجتماعي لممثلي القبيلة.

إن الشبكة العلاقاتية بين البنى التقليدية والحداثيّة الرسمية، "تشكل عنصر مراهنة، في خضم ترتيب مواقع السلطة للتنافس التمثيلي للسكان المحليّة، لتتحول السلطة وفق هذا المنظور إلى علاقات زبونية" (بورقية رحمة، 1991: ص165)، وفق منظور السلطات المحليّة (الولاية، الدائرة) فجمعية الزاوية يعتبر طرفا موثوقا به، بصفته حائزا على الترسيم التعاقدى ووسيطا بين الجمعية والسكان المحليّة، يقدم لنا الأنثروبولوجي عبد الله حمودي في مؤلفه الشيخ والمريد، قراءات عن تسرب خطاطة ثقافية من مجال الولاية الصوفية صوب الحقل السياسي أين تصبح بنية لعلاقات نموذجية لتعددية السلطات الأخرى، فمن خلالها تظهر تطابقتها البنوية مع تلك العلاقات، وتجسيدا عينيا لتصريف سلطة الوجاهة داخل الجمعية الدينية للزاوية، بما هو إطارا لاشعوريا لعلاقة خطاطية بين القطب الصوفي وفاعليه، و بين ما هو اشتغال على تدبير الفضاء العمومي الجماعاتي وفق ما تقتضيه المعايير القبلية والإرث الماضوي، ليتجلى ذلك في بنية فعل تواصلية، المفضي لإعداد واقتراح المشاريع التنموية في المنطقة بما يمكن وصفه، "بالعلاقة التبادلية التخادمية، بين مركزية العمومي بسلطاته المحليّة وبين النواة الممثلة لسكان محليّة لديها الشرعية والسلطة الأكيدة" (كريم حمزة، 2017، ص:124)، في تبليغ المطالب والإحتياجات خصوصا تلك الصادرة عن قبيلة المجاذبة، بوصفها سلطة من طراز تقليدي للزاوية، مؤدية بذلك في مواقع أخرى دور الحكم بين المتنازعين، بقوة العرف المستوحى من مدونة دينية مقدسة، و المساهمة في تنظيم الحياة المحليّة بمساعدة جهاز البلدية.

ثانيا :الجمعية الدينية للزاوية: بين المقدس و الهيكلّة الحداثيّة للفضاء العمومي:

يرى بيار بورديو في كتابه السلطة الرمزية "أن الرموز هي أدوات «التضامن الاجتماعي» بلا منازع: ومن حيث هي أدوات

معرفة وتواصل، فهي تخول الإجماع بصدد معنى العالم الاجتماعي، ذلك الإجماع الذي يساهم في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي" (بيار بورديو، 2007: ص 49-50)، وبالتالي فإن هذه الرموز التي تحيئها الزاوية، تعيد إنتاج المعنى الاجتماعي لتشكيل الفضاء العمومي بصيغته الجماعاتية، ليؤدي التمرکز حول مسألة الشرف، الى انبعاث السلطة الرمزية، وفي الوقت ذاته، لما له القدرة على امتلاك الرساميل القدسية للتحكم في ترتيبات المجال بالمرجعية الدينية التقليدية، "بوصفها تدخل تحت طائلة مفاهيم كالإسلام الطقوسي، و الذي يبني على الإظهار و المسرحة التأويلية" (الزاهي نورالدين، 2011: ص 06)، للفضاءات العمومية المستمدة من تدفق المتخيلات القبلية لسلطة المقدس، وانبعاث قيمة البركة و الرعاية الروحية للولي الجد المؤسس، فهي بمثابة رأس المال الرمزي الذي له سطوته في تمثلات فاعلي الجمعية الدينية للزاوية، التي تبدو و كأنها أكثر استقطابا في إضفاء العلاقة بالمقدس الديني التقليدي، في تشكيل و توحيد الفضاء العمومي إن على المستوى الأخلاقي أو الثقافي في المجال الجغرافي.

إن فاعلية المقدس يتجه نحو فاعلية السلطة الروحية الرمزية، في مقابل السلطة الدنيوية، فالنفوذ يتحين ويتكيف مع المستجدات الرسمية للاستمرار بالاشتغال برفعة النسب والشرف في مجال تراتبي لهيكل الجمعية. والذي "يوصف ضمن القداسة الوراثية لرابطة الدم والنسب العائلي، فالبركة تسري في عروق آل البيت دون جهد ذاتي إرادي، وتمتد لتشمل الفضاء الاجتماعي" (بيار بورديو، 2007: ص 64)، والذي يسمح في سياق التفصيل الواقعي بين الزعامات التقليدية (كبار الجماعة) والوجهاء من الشيوخ، وبين الطبيعة السياسية للزعامات الحداثية في التعامل مع الأطر التقليدية، مما ينتج ازدواجية في الممارسة وفي الوظائف سواء منها ذات الطابع المؤسس أو غير المؤسس، في الإشراف على صياغة فضاء عمومي بأبعاده سلطوية ذات محددات النسب والشرف، وفي متخيل المؤسسات الرسمية أين نجد نعت الأعيان **Les Notables**. وهنا يرى «بورديو» "أن الثقافة السائدة تعمل على التكتل الفعلي لأفراد الطبقة السائدة، وهي تساهم

بهذا في خلق التكتل الوهمي لأفراد المجتمع" (بيار بورديو، 2007 :
ص50)

وإذا عدنا للواقع، فإن المؤهلات التي يحوزها الشيوخ والأعيان كبريزماتيا، "فهم أشخاص فوق العادة، وفوق العامة، لهم من الصفات والرساميل التي تجعلهم مختلفين عن العامة، وتحديدًا في شأن امتلاك السلطة والنفوذ و تصريفها في تفاصيل الحياة الجمعية" (عبد الرحيم العطري، 2010، ص176) تمكنهم بذلك من الإمساك بزمام السلطة عند عقد جمعيات الفرع والإشراف على ترتيبات عمل الجمعية الدينية في الاستشارة، و قبل الشروع في المواقف و الأعمال التي تلزم الجماعة باعتبارها فرع من القبيلة، بتقديم ضمانات للنظام الاجتماعي و الدور في الوساطة عند نشوب صراعات أو نزاعات.

بما في ذلك النزاعات الداخلية الصعبة، والتي تضاف إلى المهام الموكلة للقضاء الرسمي، أما القانون العرفي والذي "يدبر الموارد البشرية ويقنن الحياة الاجتماعية محليا داخل المجموعة القبلية الواحدة أو مع القبائل، والعرف على خلاف القاعدة، معرض دائما للتغيير والتأقلم مع كل حالة اجتماعية ومجال جغرافي يساير أوضاعها وخصوصيتها ويحل القضايا التي تطرح عليها" (رحال بوبريك، 2012، ص:69)، فهو مبني على نظام التعويض والتراضي المتبادل لأطراف النزاع، وانخراط المجموعة القبلية في حل النزاعات بما يوجب في بعض الأحيان جمع أموال الدية لتتكفل بها جمعية الزاوية، بما هو حفاظا على سمعة النسب القرابي وحفاظا على التماسك الجماعاتي، فالتدبير القبلي يعيد إنتاج وظيفة التحكيم، التي اضطلعت بها مؤسسة الزاوية تاريخيا داخل الوسط الاجتماعي والفضاء العمومي.

وبالإضافة إلى ذلك فهي، "تعمل على تبرير النظام القائم وذلك بإقرار الفروق (وإقامة المراتب) وتبريرها، لتنتج الثقافة السائدة مفعولها الإيديولوجي، بتغليف وظيفة التقسيم وإخفائها تحت قناع وظيفة التواصل، فالثقافة الموحدة (وسيلة التواصل) هي ذاتها الثقافة

الفاصلة المقسمة (أداة التمايز)، التي تبرر الفوارق بإرغامها مختلف الثقافات" (بيار بورديو، 2007 : ص50)، التي تتحد معها، وهنا يمكن القول أن الوظيفة السياسية لا يمكن فصلها أو تمييزها كلية عن الوظائف الاجتماعية لجمعية الزاوية، للإمكانات التي تملكها الرمزية منها و المادية التي يحوزها شيوخ القبيلة، ويعودون إلى تأييدها، فالجمعية الدينية بمثابة الآلية التي يسعون من خلالها لتفعيل شبكات تصريف سلطة المحلي وتوسيع تدبيره، ليمتد إلى مؤسسات أخرى بمناقشة واتخاذ القرارات ليشكل بذلك ضمانا للوحدة، يصرح لنا كاتب عام الجمعية الدينية للزاوية: "... دور الشيخ مهم في الاستشارة وفك النزاعات المحلية فهو بمثابة الدور التكميلي للمؤسسات الرسمية في شؤون الجماعة إذا نشبت نزاعات في مسائل اجتماعية..." (المقابلة رقم 03، 2018/10/21)، فكارزمية الأدوار و تقسيمها يتخذ شكلا جماعاتيا، اتجاه حدوث نزاعات من قبيل الميراث أو الطلاق، جمع أموال الدية، بما يتقاطع مع قيم متوارثة كالحكمة و الحنكة بمرجعيتها العرفية في تسيير الفضاء العمومي.

إن الشرعية التقليدية تضاهي في أشكالها السالفة الذكر الشرعية التعاقدية ذات المستويات الرسمية، فمنذ إنشاء جمعية الزاوية أصبحت إجراءات تعيين الشيخ تتخذ عناصر توريث من الأب إلى الابن لتمنح بذلك فواعل الكفاءات التسيرية المؤطرة حداثيا في تنظيم الجمعية برمزية بركة الأجداد، من قيم كالحكمة و الرأي السديد، الاستقامة، الحكمة لتشكيل عناصر الاتصال في الفضاء العمومي المحلي، المتمفصل بين إمكانات التحديث و تحيينها اتجاه تنازلات الخضوع لقيم التقليد و أطره (محمد إبراهيم صالح، 2004: ص31).

ثالثا : ترتيبات الفضاء العمومي الجماعاتي: من القبيلة إلى الروح العمومية:

إن نموذج إعادة الإنتاج الذي يفهمه «بورديو»، يضع ببساطة مواقع نسق ما في صلة مع منافع وإستراتيجيات الفاعلين الذين يشغلونها، وترتبط بهذه المواقع وسائل مؤسسية وغايات تم إقرارها

بوظيفة مجموع البنية وبجعلها رتيبة: فصيح الوجود هاته، وصيح الفعل هاته تتقوى وتنزع إلى الدوام حين تضع علاقاتها المتبادلة نسقا" (ستيفان شوفالييه، كريستيان شوفيري، 2013: ص 47)، وعلى هذا الأساس فإن التدفق الانسيابي لدلالات تشكيل فضاء عمومي بطابعه الجماعاتي لوعدة الولي أحمد المجذوب، يمكن وصفها بأنها واقعة عمومية و احتفالية تنظمها القبيلة (المجاذبة) على شرف الأجداد المؤسسين، المعترف لهم بالقداسة لتتحول هذه الواقعة إلى نسق استثماري في المقدس، يتجلى دوره في بناء فضاء عمومي حداثي، يتجسد بالانتقال من الواقعة العمومية للوعدة كفضاء ومسرحة ثقافية، إلى مجال للتفاعل السياسي لمحاكمة الواقع والانفتاح على القيمة العمومية المنتجة للقيم المدنية، بتكليف وتطعيم القبيلة في بنيتها السياسية أمام الأشكال التعاقدية، من هيئات رسمية عمومية ، مساهمة بذلك في الحفاظ على العلاقات الداخلية لقبيلة الولي و مقاومة الزوال بتشغيل استراتيجيات في وجه التحولات وبالتفاوض مع التاريخ بلحظات مفعمة بالتذكر و الذكرى الجماعاتية المعيشة والتي يتم إعادة إنتاجها بالالتزام بترتيباتها وفق الإمكانيات، من نحر الذبيحة ، تقديم الصدقة و إطعام الضيوف طيلة أيام الועدة، وهنا نجد «بورديو» يقول "أن تؤسس هو أن تشرعن هذه الأشكال عبر احتفالية تكثف فيها طقوس معرفة المضامين والاعتراف بها على أنها الشرعية، فيغذى الإيمان بها" (بيار بورديو، جان كلود باسرون ، 2007: ص 68).

وبالتالي فإن هذه الترسيمات التنظيمية للوعدة و الإعداد لها، يتخذ تنسيقا للتركيبة القبلية ممثلة في جمعية الزاوية مع السلطات المحلية (البلدية، الدائرة و الولاية) بوصفها ذات شهرة وطنية وصيت لافته في وعدات الجنوب الغربي الأعلى، وعلى أنقاض هذه الرمزية تستعيد رساميلها التي تزيد من إسترجاع مبررات الهيمنة وشرعنتها لاستمرار المنطق الأبوي في الحقل الجماعاتي للمنطقة، ويصبح بذلك التأسيس مشرعا وفق الاتفاق الضمني المدعوم بقوة المقدس وسلطة العرف، الذي يفرض على الطرفين مسألة الفصل الجذري بين الرجال والنساء، كميّار لتقسيم الفضاء المخصص، فهي ممارسات تحيل لانتقال المعيار لمدونة القانون و القاعدة، المسموح و الممنوع، معيدة

بذلك لهيمنة ذكورية لمجال زمني لتقسيم الدوار بين زمن أنثوي و زمن ذكوري (عبد العزيز خواجه، 2013: ص79)، لفاعلية مكانة الشيوخ بوصفهم ممثلين للهيئة الاجتماعية من خلال إطلاعهم بالتذكير بما هو لائق وغير لائق، واستحضار كل ما له علاقة بالأعراف، من جمع المساهمات المالية والمادية لمجريات الواقعة العمومية بما يمثل حراسة للتقاليد وإضفاء الفعل التقديسي عليها. وفي هذا السياق تكتسب هذه الأشكال قيمة مضاعفة لأنها تؤسس للعلاقة بمعنى تجعل الشيء رسمياً، "والرسمي هنا هو ما توجب أن نجعله عمومياً، فتكتسب علاقة الهيمنة شرعيتها فتستحيل طقوساً تتعالى عن كل تجريح وتكذيبها" (بيار بورديو، جان كلود باسرون، 2007: ص68).

وهنا يمكن القول أن ترتيب فضاء عمومي جماعاتي بهذا المنظور، يجعلنا نستشف حقلياً ما للقبلي من إجراءات الضبط المشرعة والمستمدة من الحُرْم المحيل لمرجعية المقدس، الغير قابل للاختراق و التجاوز، والباعث على قيمة الاحترام لتقسيم الفضاء الخاص المدمج بآليات الشرف والنسب لتمييز الكيانات العائلية في معارضة العالم الخارجي، إذ نجد أيضاً الولوج دون استئذان في فضاء يعتبر تجاوزاً صارخاً وباعثاً على النقد المفضي للاستنكار والعقاب الرمزي، كله يأتي لحماية الفضاءات المقدسة بمنع الاختلاط الجندي وتعميماً لقيمة الفضاء العمومي الجماعاتي، مع إقدام مصالح الأمن على المحافظة على صرامة الإطار الضبطي واستمراره في مخيال الأفراد الوافدين على احتفالية الوعدة المتميزة خاصة بالحفاظ على استمرارية قيمة الحُرْم (الحرمة)، يصرح أحد أعيان المجاذبة (نسبة للقبيلة): "المواطنون هم من أحفاد أبو بكر الصديق تلجأ القبائل إليهم في الغالب للتحكيم و الفصل في قضايا المنازعات وإصلاح ذات البين... من أهم مرتكزات تقاليدهم أن نسايتهم لا يكشفن عن وجوههن، ولا يتكلمن أمام الرجال و الالتزام بطاعة الآباء والإخوان..."، (المقابلة رقم04: 2018/10/22).

فتداول مبدأ العرف من منطلق كونه الحد الأدنى من القيم التي تقضي إلى التماسك الاجتماعي، الأكثر حضوراً في ترتيبات المجال،

فإذا كانت القيم التي تؤدي إلى التماسك الاجتماعي في ترتيبات المجال، "فإن الجماعة محكومة بالقانون الطبيعي الصادر عن الإرادة العضوية كما تكشف عن ذاتها في التشكيلات الجماعية، والذي يشكل العرف أحد مواد هذا القانون الطبيعي" (فوزي بوخريص، 2013: ص46)، فالملاحظ أن القاعدة العرفية القاضية بمنع الاختلاط بين الجنسين في أطوار واقعة الوعدة لم يتم اللجوء إليها في أي نص مكتوب، مما يؤدي بطبيعة قوة إعادة الإنتاج اللاواعي للقاعدة العرفية المترسخة بفعل النسب والشرف، بالرغم من الدينامكية التعاقدية للمؤسسات الرسمية للدولة.

وهنا نجد تداخل الترسيمات الفاصلة، بين إجرائية الجماعاتي والمجتمعي بصيغته الرسمية لاختبار فاعلية التفسير المقترح سوسيولوجيا من طرف فرديناند تونيز **Ferdinand Tonnies**، في تحديد معنى الجماعة و تميزها عن المجتمع، "الجماعة مبنية على فكرة مفادها، أن في الحالة الطبيعية ثمة وحدة كاملة للإرادات البشرية يستمر الحفاظ على هذا المعنى من الوحدة حتى عند تفرق البشر، لتتخذ صيغا مختلفة اعتمادا على التحديد المسبق للعلاقات بين الافراد المختلفين في اوضاعهم ومدى اجباريته، وتصبح متحدة نتيجة الحاجة والالتزام المباشر المشترك، بين الإرادة الطبيعية والإرادة العقلانية" (جوزيه هاريس، 2017، ص:184).

تمدنا هذه الخطاطة الإبستمية لوصف الآليات السابقة الذكر المتخذة من جمعية الزاوية، والتي تحيل إلى الحفاظ على الكيانات واستمرارها وبصيغة التفاوض اتجاه الرسمي والمركزي، والتي تنبثق عن المنافع التي تتلخص في الشهرة القيمية المدعمة للقبيلة، والاستفادة من إعانات مالية للسلطة العمومية، التي يبدو أنها تمنح السلطة للجماعاتي في تسيير الفضاء المحلي، بما يقتضيه من قوة رمزية في انعكاسية الأبعاد التعاقدية الرسمية للبنية التفاوضية في الزمان والمجال.

إن مقارنة تجليات بزوغ فضاء عمومي جماعاتي يتضمن تقصي فواعله المتعددة، في مسرحة ترتيب الواقعة الشعبية لوعة الولي أحمد المجدوب، والمنظمة من لدن الجمعية الدينية للزاوية، يترجم نسقا سوسيوثقافيا يجرى تفعيله لضمان الاستمرارية الخصوصية للنظام الاجتماعي المنفتح على العالم الخارجي، بحكم الترسيم الوطني للتظاهرة أين يتقاطع المحلي بما هو وطني. وتمثل علاقة البنيات الاجتماعية، السياسية والثقافية للمجتمع المحلي رأس مال رمزي، للتداول والاستثمار والتفاوض الضمني مع مركزية الوطني، ليظهر موضوعا لإنتاج أوجه متنوعة من الرباط الاجتماعي تؤثر إلى انبعاث روح عمومية، بتنمين وتطعيم الإستراتيجيات القبلية للمقدس الشعبي، خصوصا حين يتم مأسسة الأشكال التقليدية وتطويعها لمجابهة التغيرات، تتم هذه العملية بالارتكاز على ما يضمن بقاء القيم والرموز الصوفية، وتوظيفها في مجالات متعددة.

خاتمة:

مرورا بتحليل المعطيات المجمع حقليا، وتوئيلها سوسيوولوجيا وفق ما اقتضته المقاربة المنهجية، نستنتج مايلي:

1- تتمظهر تجليات الفضاء العمومي الجماعاتي من خلال رمزية الإرث التاريخي والتراثي لقطب مؤسسة الزاوية، المندرج تحت ازدواجية الاشتغال بين العقد المجتمعي التعاقدية، في مأسسة تقليدية لتنظيم الجمعية في بعده الرسمي، وبين ما يحمله الفاعلين من رساميل تراتبية الانتماء القبلي.

2- يظهر دور العرف كعامل للضبط الاجتماعي للجماعة القبلية، أين يتم تفعيله بوتيرة أكبر ضمن مجريات ممارسة وعدة سيد أحمد المجدوب، تأكيدا للولاء القبلي للزاوية وضمانا للقيم الاجتماعية المتوارثة.

3- يبرز تنظيم الواقعة العمومية لوعة الولي المؤسس أحمد المجدوب، مرجعيات المقدس الضامن لوحدة الجماعة القبلية، بما

تقرّزه من تمركز حول الشرف والنسب والولاء، هذه الرساميل المفعلة للهوية التقليدية تساهم في امتلاك وتدبير المجال المحلي وترتيبه.

4- تعد مسألة طرح الفضاء العمومي في أهميته، في البحث عن تقاطعاته وتقبله مع الخصوصيات السوسيو انثروبولوجية للمجتمع المحلي، مهماً بما كان في فحص استمرارية المتخيلات التقليدية، ومنحها الأهمية البحثية، على الرغم من فواعل التحديث والتغيرات السوسيوبنائية التي لا تزال تمس المجتمع، مما يمكن اعتبار تشكل الفضاء العمومي بمحدداته القبلية على أنه فعل عقلائي أو يحمل في طياته عقلانية بمنطقها الخاص.

*المراجع:

- أحمد موسى بدوي، (2009)، ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيار بورديو، مجلة إضافات، العدد: 08، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، لبنان.

- أنجرس موريس (2006)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، ترجمة: بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، سعيد سبعون، دار القصة للنشر، الجزائر.

- بورقية رحمة، (1991)، الدولة والسلطة والمجتمع: دراسة في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان.

- بوشمة الهادي، (2008)، الوعدة التمثل والممارسة، دراسة انثروبولوجية بمنطقة أولاد نهار، مجلة إنسانيات، العدد: 39-40، مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، ص ص 83، 101.

- بيار بورديو، جان كلود باسرون، (2007)، إعادة الإنتاج : في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ترجمة: ماهر تريمش، ط1، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- بيار بورديو، (2007)، الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، ط3. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.

- جوزيه هاريس، (2017)، الجماعة والمجتمع لفرديناند تونيز، ترجمة: هائل حريري، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

- جيلالي المستاري، فؤاد نوار، (2013)، رهانات الديني والسياسي في مدينة غرداية: فضاء عمومي أم فضاء جماعاتي؟، بحث مقدم للملتقى الدولي للفضاءات

العمومية بالبلدان المغاربية، قسم البحث: سوسيو انثروبولوجيا التاريخ والذاكرة ومخبر دراسات مغاربية بتونس، 16، 15 و 17 مارس 2011، وهران، الجزائر.

- خليفة بن عمار، (2011)، سيرة البوبكرية سيدي الشيخ شخصية خارقة للعادة، ج2، ترجمة: بوداود عمير، وهران، مكتبة جودي مسعود.

- رجال بويريك، (2012)، زمن القبيلة السلطة وتدبير العنف بالمجتمع الصحراوي، ط1، دار أبي رقرق.

- ستيفان شوفالييه، كريستيان شوفيري، (2013)، معجم بورديو، ترجمة: الزهرة إبراهيم، ط1، الشركة الجزائرية للنشر.

- عبد الرحمان مالكي، (2015)، الثقافة والمجال: دراسة في سوسيوولوجيا التحضر والهجرة في المغرب، ط1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهرارز فاس: منشورات مختبر سوسيوولوجيا التنمية الاجتماعية، المغرب.

- عبد العزيز خواجه، (2013)، ساحة السوق التقليدية: من علاقة الأنا بالآخر إلى التقسيم الفئوي للمجال، حالة قرية بني يزقن بغرداية، بحث مقدم للملتقى الدولي الفضاءات العمومية بالبلدان المغاربية، قسم البحث: سوسيو انثروبولوجيا التاريخ والذاكرة، الكراسك ومخبر بحوث مغاربية بتونس، أيام: 16، 15 و 17 مارس 2011، وهران، الجزائر.

- عبد العزيز رأس مال، (2011)، الزوايا والأصالة الجزائرية بين التاريخ والواقع: دراسة انثروبولوجية حول تلمسان وأطرافها، دط، الجزائر، منشورات تالة

- عبد الرحيم العطري، (2010)، الأعيان في المجتمع القروي المغربي، مجلة: إضافات، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، العدد 10، ص.ص 175-189.

- عبد الله حمودي، (2017)، الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية: خطوة نحو تأسيس خطاب انثروبولوجي مستقل، مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، المجلد 05، العدد 19، ص.ص 11-56.

- عبد الله طواهرية، (2012)، معجم الاعلام البوبكرين الصديقين، منشورات دارالاديب، وهران.

- فوزي بوخريص، (2013)، مدخل إلى سوسيوولوجيا الجمعيات، إفريقيا الشرق، المغرب.

- كريم حمزة، (2017)، تاريخ الاستخدام السياسي للهوية المحلية العشائرية في العراق، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر.

- محمد إبراهيم صالح (2004)، التحديث وإعادة الأقدلة من خلال الحقلين الجمعي والسياسي منطقة القبائل نموذجا، دفا تر مجلة إنسانيات، ع: 01، مركز البحث في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزائر، ص.ص 31.33.

- محمد نجيب بوطالب، (2002)، سوسيولوجيا القبيلة في العربي، ط1، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.

- ميلود بن بوحو ص حيتالة، (1994)، عن لجنة وعدة سيد أحمد المجذوب، (غ م)، عسلة، النعامة.

- نور الدين الزاهي، (2011)، المقدس والمجتمع، إفريقيا الشرق، المغرب

- Archives de Wilaya de Naàma, Anonymes et Schimdt : histoire du cercle dain sefra avant 1914, (1949), Sauf l'étude sur les confréries datée et signé Schmidt.

-Emile Dermenghem, (1982) , le culte des Saints dans l'islam maghrébin, Paris, éd. Gallimard.

- Reyso Fennek, (1991) , pèlerinage au Maroc: Fête politique et échange dans l'islam populaire, Paris, éd. de la Maison de science de l'homme.

-Hassan Rackik (1998) 'Essai sur la sainteté anti-exemplaire des Majdub en l'autorité des saints 'Mohamed Kerou (dir) , Paris .édition recherches sur civilisation.

للإحالة على هذا المقال:

-مراح محمد الحنفي، د. بن تامي رضا، (2022)، « الفضاء العمومي الجماعاتي وإعادة إنتاج التدبير القبلي للمجال المحلي: دراسة ميدانية للجمعية الدينية لزواية أحمد المجذوب». المواقف، المجلد: 18، العدد: 01، أوت 2022، ص. ص 79-104.